فى مدارس المرحلة الأولى

المنهج الجديد للغة العربية ـ ماله وما عليه

للأستاذ صالح قدور

المدرس بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية

---

١ ـ خطة الدراسة الجديدة : صدرت هـــذه الخطة بالقرار الوزارى رقم ٧٤١٤ بتاريخ ١٩٤٧/٧/٥ ولكنها لم تبلغ للمدارس لتنفيذ هذا إلا فى ديسمبر سنة ١٩٤٧ . وقد احتاج المدرسون إلى وقت لتفهم هذه الخطة وتشرب روحها ، وخاصة لقلة النسخ الموزعة على المدارس ولم يصرف سوى نسخة واحدة لكل مدرسة تداولها مدرسو المواد المختلفة ، وقد استغرق ذلك زمنا طويلا ولا سيما فى مثل هذه المدرسة الكثيرة العدد والتى يزيد مدرسوها على الاربعين . يضاف الى هذا قلة المصادر التى يرجع اليها المدرسون وكتب الدراسة التى يتداولها التلاميذ ، ومع ذلك فان الكتب المدرسية الحرة التى ظهرت وفقا للمنهج الجديد ظهرت بعد نحو شهرين على الأقل من بدء التنفيذ.

وعلى هذا لا نستطيع أن نعتبر هذا العام بحال قياسا لنجاح هذه الخطة أو فشلها ، فلا بد من فترة طويلة تستوفى فيها كل الوسائل التى تمكن من الحكم على هذة الخطة حكما بعيدا عن الهوى .

٢ ـ المدارس النموذجيه : وقد يقال إن هذه الخطة جربت لعدة سنين بالمدارس النموذجية الملحقة بمعهد التربية العالى للمعلمين ؟ وهى لم تعمم فى المدارس إلا بعد التأكد من نتيجة التجارب التى قام بها أساتذة المعهد ؟ وجوابنا على ذلك أن نجاح هذه الخطة فى المدارس النموذجية الملحقة بالمعهد لا يعد دليلا كافيا على ملاءمتها لسائر المدارس وتوقع نجاحها فيها ، فان المدارس

النموذجية تنتقى تلاميذها ومدرسيها، وفقا لنظام خاص من شأنه أن يمدها بالصفوة المختارة منهما ، كما أن عدد تلاميذ الفصل محدود وليس بها بهذه الضخامة التى نراها فى سائر المدارس، والمدرسة المزودة بكل الوسائل التى تساعد المدرسين والتلاميذ على النهوض بعبء المنهج على الوجه الاكمل والمدرسون بها غير مرهقين كزملائهم بمدارس المرحلة الاولى . ومكتبة التلميذ بالمدرسة عامرة بأنواع المؤلفات التى تفيده فى دراسته .

وهذه كلها أشياء غير متوفرة فى مدارس المرحلة الاولى وخاصة الاولية منها ، فنجاح هذه الخطة فى المدارس النموذجية ليس دليلا كافيا على ملاءمتها لبقية المدارس قبل اختبارها الاختبار الكافى لهذه البيئة الجديده .

٣ - نظرة عاجلة فى هذه الخطة : تعتبر هذه الخطة محاولة ناجحة للأخذ بيد اللغة العربية والنهوض بمستوى تدريسها فى مدارس المرحلة الاولى ، فاذا أمكن تنفيذها بدقة وعناية وتوافرت لها كل شرائط النجاح أنبتت نباتا حسنا وأتت بأطيب الثمار وخاصة بعد أن تقلص ظل اللغة الأجنبية فى مدارس المرحلة الاولى ، وقد كانت هذه اللغة منافسا خطيرا للغة القومية فى مدارس هذه المرحلة ، وسننظر بشىء من التفصيل فيما اشتمل عليه المنهج الجديد للغة العربية :

١ - الغرض من تعليم اللغة العربية فى مدارس المرحلة الاولى كما جاء بمقدمة المنهج (أن يصبح الطفل فى نهاية هذه المرحلة قادرا على التعبير عما يخالج نفسه من أمور عادية بلغة سليمة بالقدر المستطاع فى غير تعثر أو خجل، وأن يستطيع تنظيم مجموعة من الافكار فى موضوع من الموضوعات التى درسها أو مسألة من المسائل التى يشترك الناس فى الاهتمام بها وكتابتها فى أسلوب يجمع بين الترتيب والقوة ، وأن يكون قادرا على فهم مايسمعه من الناس ومايقرؤه لهم متذوقا جمال الشعر والنثر ، مشغوفا باستقصاء أحوال البشر وتفهم سلوكهم ، قادرا على تقدير قيمة الاشياء وصحة الحكم عليها .

وهذه الأغراض هى بعينها مانهدف اليها من تعليمنا اللغة العربية فى جميع مراحل التعليم وقلما نصل، فليس من المعقول والحالة هذه أن يصبح الطفل فى نهاية المرحلة الأولى التعليمية (متذوقا جمال الشعر والنثر قادرا على تقدير قيمة الأشياء وصحة الحكم عليها) فنحن لم نستطع إلى الآن تحقيق هذه الأهداف فى التعليم الثانوى بل ولا فى التعليم الجامعى نفسه .

مع ذلك فهل استطاعت المدارس النموذجية الملحقة بمعهد التربية بقسميها الابتدائى والثانوى وقد جربت هذه الخطة طويلا تحقيق هذا الغرض . إنا نشك فى ذلك كثيرا ! !

ب ـ القراءة والتعبير : يمتاز هذا المنهج عن غيره من المناهج السابقة بعنايته الفائقة بالقراءة والتعبير وربط مابينهما ربطا محكما ، وهذا اتجاه جديد محمود فى تعليم اللغة العربية يتفق مع أحدث الأساليب فى تعليم اللغات عامة .

وللقراءة أهمية كبرى فى هذا المنهج فقد تعددت أنواعها، فمن قراءة صامتة إلى قراءة جهرية الى إنصات لشخص يقرأ (الاستماع) وقد أدخل على القراءة الصامتة نظام البطاقات الذى من شأنه أن يمرن الأطفال ، على القراءة الصامتة .

وتنوع القراءة يقتضى حتما تنوع المقروء وهذ يستلزم أن تكون مكتبة المدرسة مزودة بالكتب الجديدة التى تلائم مدارك الأطفال وتتفق مع ميولهم ونزعاتهم وتغريهم بالاقبال على القراءة والاغتراف من معينها الذى لاينضب . فهل أعدت المكتبات المدرسية هذا الاعداد ، يؤسفنى أن أقول إن مكتبة التلميذ بالمدارس مهملة كل الاهمال بل لاتكاد توجد . فمدرسة الجمعية الخيرية ـ وبها أكثر من ألف ومائتى تلميذ ـ ليس بها مكتبة يستطيع أن ينتفع بها التلاميذ بل ولا المدرسون . فهذه نقطة يجب العناية بها ليمكن تنفيذ المنهج على الوجه الاكمل ولتكون القراءة منتجة ومحببة الى نفوس التلاميذ .

والبطاقات المتدرجة التى أريد بها تعويد الأطفال القراءة الصامتة أهملت إهمالا يكاد يكون تاما فى معظم المدارس ، ويخيل إلى أن كثيرين من المدرسين لما يقتنعوا بقيمة هذه البطاقات ، فان من يطلع على بعض الكتب

التى ظهرت هذا العام وفقا للمنهج الجديد والتى تعرض فيها أصحابها (وهم من غير مدرسى المرحلة الأولى) للبطاقات المتدرجة ، أقول من يطلع على هذه الكتب لا يستطيع أن يتمالك نفسه من الضحك لتصور المؤلفين البطاقات على هذه الصوره .

واسترشد بعض المدرسين (بالبطاقات النموذجية) التى أخرجها بعض مدرسى المدارس النموذجية الملحقة بمعهد التربية والتى أتوا فيها على خلاصة تجارب المعهد فى هذا الشأن .

والذى أريد أن أقوله إن تدريس البطاقات هذا العام أهمل إهمالا يكاد يكون تاما أو تحول إلى عمل آلى لاغناء فيه .

أما التعبير وهو مرتبط بالقراءة تمام الارتباط فقد أصبح فى المنهج الجديد ملائما كل الملاءمة لميول التلاميذ، لأنه متصل اتصالا مباشرا للبيئة التى تحيط بهم وبالمجتمع الذى يعيشون فيه ، كما منحهم الحرية فى اختيار الموضوعات التى يعبرون عنها ،وأصبح مجاله أوسع فليس مقصورا على حصص الانشاء بل شمل أيضا دروس المطالعة وغيرها من سائر دروس اللغة . وتكون فائدته أتم لو تعاون جميع مدرسو المدرسة على تعويد التلاميذ التعبير السليم ليس فى حجرة الدراسة فحسب بل وخارجها كذلك فى أثناء الفسح والالعاب النشاط المدرسى ... الخ

التصحيح : وما دمنا بصدد التعبير فلنتكلم عن الطريقة الجديده لاصلاح الانشاء التحريرى ، فانه لما كان الغرض من إصلاح كراسات التلاميذ (هو الملم المدرس بقيمة ماوصل اليه الاطفال من الاستفادة من التعبير الشفهى والقراءة وغيرهما) لذا كان (خير وسيلة للاصلاح إنما هى الاصلاح المباشر الذى يشترك فيه المعلم والطفل فى قراءة الموضوع والتنبيه على مافيه من خطأ) والمدرس بهذه الطريقة لا يتمكن (إلا من تصحيح عدد قليل جدا من الكراسات بالاشتراك مع الاطفال) وقد يراجع بمفرده عدد آخر منها ولكنه ليس ملزما على كل حال إصلاح الكراسات كلها فى سائر الموضوعات

بل يكتفى فى كل موضوع باصلاح بعضها بشرط (أن يداول بين طوائف الاطفال بحيث يصحح فى كل مرة لطائفة منهم حتى ينتهى من التصحيح لهم جميعا فى موضوعات متفرقة).

وهذه الطريقة علاوة على أنها مريحة للمدرس لأنها رفعت عنه حملا ثقيلا إلا أنها مفيدة جدا للتلاميذ لانهم ينتفعون بالمناقشة التى تدور بينهم وبين أستاذهم لمعرفة موضع الخطأ فتقل بذلك أخطاؤهم بالتدريج.

ولكن بعض المدرسين وبعض المفتشين كذلك يأبون إلا أن يظل الحمل ثقيلا عليهم ولو لم ينتفع الاطفال بهذا العبء المرهق الذى لاغناء فيه. وقد بنى بعض حضرات المفتشين اعتراضه على أن هذه الطريقة تغضب أولياء أمور التلاميذ ولا أدرى مادخل أولياء أمور التلاميذ فى مسألة فنية بحتة قررت بعد تجارب طويلة ورؤى تعميمها بعد صلاحها.

ج ـ التدريب على قواعد النحو: (النحو فى مدارس المرحلة الاولى طبع الاطفال على الاساليب الصحيحة وتدريبهم على طرق استعمالها تدريبا عمليا أساسه المحاكاة والتكرار والملاحظة)

والوصول إلى هذا الغرض لايتأتى من الاكثار من القواعد الضرورية وغير الضرورية، بل يكون بكثرة القراءة الدقيقة المفيدة ومحاكاة الاساليب الصحيحة مع الاقتصاد على الضرورى جدا من القواعد النحوية. وهذا هو مااتجه اليه المنهج الجديد وهذا أيضا ماتسير عليه الاساليب الحديثة فى تعليم اللغات الحية عامة.

ولكن يظهر أن تعليم اللغة العربية كما يتصوره كثير من مدرسى هذه اللغة لايتأتى إلا بحفظ هذه القواعد الجافة والاكثار منهـــا ومن التدريب عليها بتمارين هى إلى الالغاز والاحاجى أقرب منها الى شىء يراد به تعليم الاساليب العربية المستساغة، وأسئلة الامتحانات الخاصة والعامة تحت هذا النحو فأهملت سائر فروع اللغة وخاصة القراءة والمحفوظات إهمالا يكاد يكون تاما،

فشجعت المدرسين على العناية الفائقة بتدريس النحو، فلا غرابة إذا رأينا كثيرين من مدرسي اللغة العربية ومفتشيها غير راضين عن الخطة الجديدة .

وبمجرد ظهور المنهج أسرع بعض المدرسين والمفتشين باخراج كتب مدرسية في اللغة العربية وفقا للمنهج الجديد ولم يتصور هؤلاء اللغة شيئا سوى هذه القواعد البسيطة التي جاء بها المنهج، فاقتصروا عليها دون غيرها من سائر فروع اللغة العربية كما كانوا يفعلون قديما .

د ـ الأملاء والخط : مزج المنهج الجديد بين الاملاء والخط مزجا تاما، فلم يجعل لكل درس فرعا خاصا بل جعل بعض الدرس إملاء وبعضه خطا ، وهي طريقة جديدة على كل حال ولا بأس بها وقد نقل خط الثلث الى دروس الرسم وخيرا فعل فلم يكن الثلث ذا فائدة عملية للتلميذ وهو الى الرسم والزخرفة أقرب منه إلى اللغة .

هـ ـ المحفوظات والأناشيد : ألغيت المحفوظات القرآنية في السنة الرابعة الابتدائية واقتصر على ثمانين بيتا من الشعر و ٢٠ سطرا من النثر وكذلك في السنه الثالثة ، وقد أرشدت توجيهات المنهج الى ما يجب اتباعه عند اختيار المحفوظات والأناشيد وهو توجيه حسن يجب الانتفاع به . الا أني ألاحظ أن أطفال السنة الرابعة سيقل اهتمامهم بالمحفوظات والمطالعة بالتدريج وخاصة في آخر العام الدراسي، لالغاء الامتحان الشفوي للغة العربية في امتحان شهادة الدراسة الابتدائية ـ فيحسن إعادته كما كان مع ضرورة الاهتمام به ليكون ذا قيمة عملية في نجاح التلميذ ورسوبه .

و ـ الكتب المدرسة : اللغة العربية كسائر اللغات الحية كل لا يتجزأ، ولن يستطيع المعلم أن يحقق غرضه إلا إذا تصور اللغة (وسيلة لاغاية) وأنها وحدة متصلة أجزاؤها بعضها ببعض كل الاتصال ، فالقراءة والتعبير والكتابة (الخط والهجاء) والنحو ليست مواد كل منها قائم بذاته ولذا يجب أن يؤلف المعلم بين هذه الفروع تأليفا محكما يصل بها جميعا الى الغاية التي تنشدها .

وكتب الدراسة يجب أن تسير وفق هذه القاعدة بحيث يشمل كتاب اللغة

جميع أجزائها كالمتبع فى اللغات الأخرى . والكتب الحالية كلها لاتحتاج للمنهج الجديد ولذا يجب أن تؤلف غيرها متفقة مع روح المنهج، ومثل هذه الكتب الجامعة التى نشعر بها يرتاح اليها التلميذ كل الارتياح كما أنها تسهل على المدرس مهمته .

وقد قمت شخصيا مع بعض زملائى بتجربتين إحداهما فى العام الماضى فى التعليم الثانوى والاخرى فى هذا العام فى التعليم الابتدائى فأخرجنا كتبا مدرسية متمشية مع هذه النظرية فارتاح اليها التلاميذ والمدرسون وأقبلوا عليها إقبالا دعا بعض المفتشين والمدرسين الى تقليدها يكاد يكون حرفيا وما ذلك إلا لنجاح هذه الخطة فى التأليف كما اعتقد .

ولاختيار أصلح الكتب للمنهج الجديد أقترح أن توضع شروط خاصة لتأليفها يعلن عنها فى مسابقة عامة يشترك فيها مدرسو اللغة العربية وغيرهم من المهتمين برفع مستوى تدريسها فى المدارس ولايشترك فيها المفتشون الا بقيود شديدة حتى لايكون للمجاملات خطرها فى اختيار كتب قد لاتكون صالحة صلاح غيرها من كتب غير المفتشين .

والخـــلاصة

أن هذا المنهج خطوة موفقة للنهوض بمستوى تدريس اللغة العربية بمدارس المرحلة الاولى، ولو أمكن تنفيذه بدقة أدى إلى خير النتائج، ولكننى أشك كثيرا فى ذلك لأن هناك صعوبات جمة تقف فى وجه المنفذين وخاصة فى المدارس الأولية . فاذا استطعنا أن نتغلب على هذه الصعوبات كان لنا أن نطمئن كل الاطمئنان الى خير النتائج التى يوصلنا اليها هذا المنهج . وفقنا الله لمافيه السداد .